والولي يفعل لوليه الاصلح والاحسن فاحسن لي في الاخرة اعظم ما احسنت لي في الدنيا
روي انه صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن رب العزة جلا وعلا انه قال من شغله
ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فلهذا المعنى من اراد الدعا لابد
وان نقدم عليه ذكر الثنا على الله تعالى فههنا يوسف عليه السلام لما اراد ان يذكر
الدعا قدم عليه الثنا وهو قوله رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
فاطر السموات والارض ثم ذكر عقبه الدعا وهو قوله **توفني** اي اقبض روحي وافيا
تاما في جميع امري حسا ومعنى حال كوني **مسلما** ولما كان المسلم حقيقة من كان
غريقا في الاخلاص عقبه بقوله **والحقني بالصالحين** ونظيره ما فعله الخليل عليه
السلام في قوله الذي خلقني فهو يهدين فمن ههنا الى قوله رب هب لي حكما ثنا على الله
تعالى الى اخر الكلام دعا فكذا ههنا تنبيه اختلف في قوله توفني مسلما هل هو طلب منه
الوفاة ام لا فقال قتادة سال ربه اللحوق به ولم يتمن نبي قط الموت قبله وكثير من
المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس في رواية عطا يريد اذا توفيتني فتوفني على
الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه
طلب للوفاة واللفظ صالح للامرين ولا يبعد في الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يتمنى الموت
وتعظم رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان الخطبا والبلغا وان اطنبوا في مذمة الدنيا
الا ان حاصل كلامهم يرجع الى ثلاثة امور احدها ان هذه السعادات سريعة
الزوال مشرفة على الفنا والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند
وجدانها وثانيها انها غير حاصلة بل هي ممزوجة بالمنغصات والمكدرات وثالثها ان
الاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اعظم بكثير من
حصة الافاضل فهذه الجهات الثلاثة منفردة عن هذه اللذات ولما عرف العاقل انه
لا يحصل تحصيل هذه اللذات الا مع هذه الجهات الثلاث المنفردة لاجرم تمنى الموت
ليتخلص عن هذه الافات ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية قليلة وهو ثلاثة
انواع لذة الاكل ولذة النكاح ولذة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة
اما لذة الاكل ففيها عيوب احدها ان هذه اللذة ليست لذة قوية فانه لا يمكن ابقاؤها
فان الانسان اذا اكل وشبع لم يبق فيه الالتذاذ بالاكل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها
غير باقية وثانيها انها في نفسها خسيسة وان الاكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام
بالبزاق المجتمع في الفم ولا شك انه شي منفر ولما يصل الى المعدة يظهر فيه الاستحالة
الى الفساد النتن والعفونة وذلك ايضا منفر وثالثها ان جميع الحيوانات
الخسيسة مشاركة له فيها ورابعها ان الاكل انما يطيب عند اشتداد الجوع
والجوع نقص وافة وخامسها ان الاكل مستحقر عند العقلاء حتى قيل من كانت همته
ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه فهذه اشارات مختصرة الى معايب الاكل
واما لذة النكاح فما ذكر في الاكل حاصل هنا مع اشيا اخر وهي ان النكاح سبب لحصول
الولد وحينئذ تكثر الاشخاص فتكثر الحاجات الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى

الاحتيال

الاحتيال في المال بطرق لا نهاية لها وربما صار هالكا بسبب طلب المال واما لذة الرياسة
فعيوبها كثيرة منها انه يكون على شرف الزوال في كل حين واوان ومنها انه عند حصولها
في الخوف الشديد من الزوال ومنها انه يكون عند زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد
بسبب ذلك الزوال والعاقل اذا تامل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح له في طلب
هذه اللذات فيكون لقاء الله عنده ارجح فيتمنى الموت وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله
تعالى عنه ان ميمون بن مهران بات عنده فراه كثير البكا والمسئلة للموت فقال صنع
الله لك خيرا كثيرا احييت سننا كثيرة وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين
فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني
بالصالحين فان قيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام يعلمون انهم يموتون لا محالة يموتون
على الاسلام فكان هذا الدعا حاصله طلب تحصيل الحاصل وانه لا يجوز اجيب
بان حال كمال الاسلام ان يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك
الاستسلام ويرضى بقضاء الله وتطمئن النفس وينشرح الصدر وينفسح القلب
في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر والمطلوب ههنا هو
الاسلام بهذا المعنى فان قيل ان يوسف عليه السلام كان من اكابر الانبيا والصلاح ح
اول درجة المومنين فالواصل الى الغاية كيف يليق به ان يطلب البداية اجيب
بان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يعني ان يلحقه باباءه ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم وولد ليوسف عليه
السلام من امراة العزيز ثلاثة افرايثم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة
امراة ايوب عليهم السلام ولما تاقت نفسه الى الملك المخلد وتمنى الموت لم يات
عليه اسبوع حتى توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا وتشاح الناس في دفنه فطلب
اهل كل محلة ان يدفن في محلتهم رجا بركته حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل حيث يفرق الما بمصر ليجري عليه وتصل بركته
الى جميعهم قال عكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب
الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر
فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان الى ان اخرجه موسى
عليه السلام ودفنه بقرب اباءه بالشام وقد يسر الله تعالى زيارته وزيارة ابائه
في عام شرعت في هذا التفسير سنة اربعة وستين وتسعمائة جمعني الله تعالى
واباي واهلي واصحابي واحبابي معهم في دار كرامته ولما تم الذي كان من امر يوسف
عليه السلام واخوته على الوجه الاحكم والصراط الاقوم من ابتدايه الى انتهايه
قال تعالى مشيرا الى انه دليل كاف في تصحيح نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله **ذلك**
اي الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف عليه السلام وما جرى له مع اخوته ثم صار الى
الملك بعد الرق **من انباء الغيب** اي اخبار ما غاب عنك **نوحيه اليك** اي الذي
اخبرناك به من اخبار يوسف وحي وحيناه اليك **و** الحال انك **ما كنت لديهم** اي عند

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)